مجلة العلوم الانسانية الدولية، ١٤٣٣/٢٠١٢ هـ.ق، العدد ١٩ (٣) ٣٣-٥٣

قصة سيدنا موسى(ع) القرآنية (دراسة سردية)

مظهر مقدمي‌فر[١]، علي مهدي زيتون[٢]

تاريخ الوصول: ١٤٣٢/٧/٤ تاريخ القبول: ١٤٣٣/٧/١٩

ترجع أهمية هذه الدراسة إلى مكانة القصّة في القرآن، على هذا الأساس قمنا بدراسة قصة سيدنا موسى(ع) من خلال مكوّناتها الأساسية: (الشخصية، والزمان، والمكان). تُعدّ الشخصية من أهمّ العناصر التي ينهض عليها البناء القصصي، نظراً إلى الدور الكبير والحيوي الذي تؤدّيه في بناء القصّة، إذ لا وجود للقصّة من غير شخصيات تتحرّك لتقوم بالدور المرسوم لها. ولتطوّر أحداث القصّة ونماء شخصياتها صلة وثيقة بما يسمى بالفضاء. ويعدّ الزمن فيها إشكالية أساسية مطروحة. ولا ننسى دور المكان فيها. فمن خلال دراسة المكان تتكشّف أوضاع المجتمعات وأوضاع البشر ونفسياتهم. واقتضت طبيعة هذه الدراسة الإعتماد على المنهج الوصفي (الاستقرائي – التحليلي) من أجل الإستنباط ومحاولة الدخول إلى محتوى النص القرآني، وتقنيات المناهج الحديثة. وكما استفاد من معطيات النظريات الأدبية الحديثة في تحليل الأسلوب القصصي في القرآن، واستعان بالدراسات الحديثة المتخصصة في أساليب القصة بالقدر الذي يقتضيه البحث، مع الحرص على ما يلائم طبيعة وقداسة النص القرآني. حيث إستفدنا من نظرية غريماس (Greimas) في تصنيف الإشتغال العاملي للشخصيّة. وعلى حسب هذه النظرية، سندرس عوامل محددة. وسنعالج بالإشتغال العاملي شخصية موسى في القصّة، كعامل الذات، عامل الموضوع والمخاطب وعامل المرسل والمرسل إليه ... وماهية الشخصيات القصصية من حيث البنية الفيزيائية والنفسية الثقافية. وعلاوة على ذلك قمنا بدراسة علاقات الترتيب كالإسترجاع والإستباق وعلاقات الديمومة: كالتلخيص والمشهد والقفزة، لكي نصل إلى النتيجة النافعة بإستعانة هذه العلاقات والعوامل التى تقوم به من ترويح عن النفس، وتثقيف للعقل بالحكمة، ولقدرتها على تنوير أفكار المجتمع، و تربية الفكر بالموعظة الحسنة.

الكلمات الرئيسية: القرآن، موسى(ع)، السرد، الشخصية، الزمان، المكان.

---

١. طالب الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها بالجامعة الاسلامية في لبنان، Email: mazhar_2001_m@yahoo.com

٢. استاذ في الجامعة اللبنانية بلبنان.

١- مقدمة

١-١ التعريف بالموضوع وتسويغ الاختيار

تعود أهمية هذا الموضوع إلى دراسة القصة القرآنية وتحليل عناصرها الأدبية من حيث (الشخصية، والزمان، والمكان) وتقود إلى إبراز الإبداع القصصي، وقد طرحنا في هذه الدراسة، أسلوب تطبيق الأصول والمعايير في الأدب القصصي كدراسة سردية للقصة القرآنية من أجل تعميق ارتباط الجانب الأدبي فيها بالتأثير القرآني على المجتمع الذي يعيش فيه الإنسان. وثمّة عدة دواع شجعتنا على اختيار هذا الموضوع يأتي في طليعتها الرغبة في دراسة فنّ القصّة لا سيما القصّة القرآنية برؤية حديثة، والكشف عن قيمتها الأدبية التي طالما وصِفَت بأنّها قمّة في البيان والإبداع الأدبي. ولأنّ سيدنا موسى(ع) له مقدرة كبيرة في اقناع الناس من الناحية العقلية، وهو على مستوى رفيع من الثقافة لأنّه رجل المنطق والعقل اللذين ساعداه في دعوته، ودعما لحجّته وقوّة منطقه. وقد تميزت شخصيته بالعقلانية التي كشفت حقيقة مقولات فرعون من خلال إقامة الدليل على معرفة الله وربوبيته بحكمة بالغة الدقة. أضف إلى ذلك أنّ قصص القرآن هي أحسن القصص، لأنّها قصص هادفة تجمع إلى جلال الموضوع صدق الهدف وروعة المعنى، وجمال التعبير وقوة التأثير.لأنّ الله أخبرنا أن قصص المرسلين في القرآن هي أحسن القصص، وهي القصص الحق، ومهما يكن من أمر فإنّ القصص القرآني لم يكن لمجرد التسلية والإستمتاع، ولكن لتحقيق أهداف علمية وفكرية وتربوية ودعوية. تقدّم لنا العبر وتهدينا سواء السبيل. فنتمثّلها واقعاً وسلوكاً، لأنّ «القرآن يستخدم القصّة لجميع أنواع التربية والتوجيه التي يشملها منهجه التربوي» (قطب، ١٩٩٣، ص ١٩٣).

١-٢- منهج البحث

تفترض طبيعة الدراسة منهجاً مناسباً، فاختيار المنهج ليس عملاً حرّاً يقوم به الباحث وحده. ففي دراسة القصّة لابدّ من أن نعتمد السردية (ناراتولوجي) منهجاً. والسردية هي المنهج البنيوي الخاص بالقصّة. وهذا المنهج يشكّل مسباراً يكشف عن القيمة الفنية، للقصّة القرآنية من خلال فحص مكوّنات البنية السردية للقصّة، ومثالها الوظائفي، وأنماط الشخصيات فيها، وبنية الزمان، وبنية المكان. وسنحاول الالتزام في هذه الدراسة بالمنهج الاستقرائي التحليلي، وكما استعان البحث بمنهج غريماس (Greimas) لا سيما في تمييزه بين البنيات الكبرى للشخصيات والبنيات الأخرى، وبمقولاته التي تفصح عن مستويات النص القرآني في أجلى صوره وأكثرها وفاءً للنصّ، ذلك أنّ الإخبار عن الشيء يتمّ عادةً من خلال عرضه على نحو خبري (البستاني، ١٣٨٢ هـ.ش، ص١٢٤). ويبقى أنّ منهج القصص القرآني قائم على الحقيقة، ودراسة تلك القصص تصلح لأن تكون منطلقاً صحيحاً إلى دراسات إسلامية.

١-٣- خليفة البحث

إنّ الكتّاب الذين ألّفوا في موضوع القصّة من المفسّرين والعلماء توافقوا على منهج واحد، واعتمدوا طريقة واحدة هي اتّباع ترتيب المصحف دون مراعاة خصائصها وطبيعتها ومميزاتها وألّفوا عنوان القصّة دون الإشارة إلى الإعجاز الأدبي في البناء القصصي، وهذا المنهج لا يفي القصّة حقّها من جهة المبنى والمعنى. وسيكون وصفنا للسرد القرآني منطلِقاً من طبيعة السرد البشري الوضعي، خصوصا أنّ بعض المستويات – في حدود قراءتنا– وجدناها حاضرة في أعمال سردية شهيرة كألف ليلة وليلة وأدبيات ابن المقفّع والمقامات، وفي بعض النماذج الروائية من أدبنا العربي

الحديث، وهي تتماسّ- في تمظهرها- مع السردية القرآنية. أمّا تخصيص عملنا هذا في مجال القصّة القرآنية فهو ليس بدعاً، ذلك أنّ القصّ القرآني كان موضوعاً لمؤلّفات مشهورة، نذكر منها:

١- كتاب التصوير الفنّي في القرآن لسيد قطب، وفي هذا الكتاب جعل الجمالَ الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني، خاصةً الوجدان الديني بلغة الجمال الفنية.

٢- كتاب الفن القصصي في القرآن الكريم لمحمد أحمد خلف الله. وهذا الكتاب هو بالأصل رسالة جامعية لخلف الله بإشراف أمين الخولي. فهي درس أدبي فني للقصة القرآنية ودرس يكشف عن بعض أسرار الإعجاز، لأنّه يبين لنا مذهب القرآن في بناء القصة ويبين في توزيع العناصر القصصية.

٣- كتاب الإعجاز القصصي في القرآن لسعيد عطية علي مطاوع، لقد سعى المؤلف في هذا الكتاب بدراسة عناصر وخصائص القصص كاللغة ومستوياتها والزمان والمكان ومستويات السرد وبناء الشخصيات وأسلوب النظم في القصص القرآني. ويبين لنا دور هذه العناصر والخصائص الفنية، لإثبات أنّ القصص ليس بخيال وليس بأساطير كما يدّعى بعض المستشرقين. ٤- كتاب تحليل العناصر الأدبية والفنّية في قصص القرآن لخليل پرويني، وقد درس في هذا الكتاب البناء الهندسي للقصص القرآنية كالأحداث، الشخصيات، الحوار، الحُبكة، المكان، الزمان و... في قصص الأنبياء.

ويُعدّ موضوع القصة في القرآن من أهم الموضوعات القرآنية التي تناولها الباحثون من حيث بناء الجانب الفني والبياني. وباعتبار أنّ أحد معالم الإعجاز في القرآن هو الجانب الفني والأدبي في نظم الكلام وعرضه. وترتبط بأهم الموضوعات الدينية وهي الرسالات الإلهية وبأتباعها أبعاداً عقائدية ومعنوية. سندرس هذا المجال أحداث قصة سيدنا موسى (ع) مع تحديد زمانها ومكانها وتعيين شخصياتها على حسب المنهج السردي.

٢- التعاريف

٢-١- القصّة الفنية

إنّ القصّة عمل فني قائم على بناء خاص يخلق كاتبها حدثاً أو أكثر، وقد يكون من الواقع أو من نسج خياله، وقد يكشف عن آثار مضت وأحداث حصلت، والغاية من ذلك إعادة عرضها من جديد لتذكير الناس بها، ولفت أنظارهم إليها، لحدوث العظة والعبرة (الشعراوي، ٢٠٠٠، ص٥). وهي تتناول حادثة أو حوادث تتعلّق بشخصيات إنسانية تُقدّم عبر لغة تعتمد السرد أو الحوار، أو عبر هذه الأسس مجتمعة، متضمّنة هدفاً فكرياً يكشف عن فكر القاصّ. إنّها عالم جميل بلغتها وشخصياتها وأزمانها وأمكنتها (مرتاض، ١٩٩٨، ص٧). لا يمكن للعمل القصصي أن يتمّ دون أحداث، ودون زمان ومكان، أو شخصيات، «إنّ أول ما يطلب من الكاتب سواء استمدّ موضوعه من التجارب العادية في الحياة أو تعدّى نطاق المألوف، أن يتحرّك رجاله ونساؤه على صفحات القصّة حركة الأحياء، ويجب أن يحافظوا على مثل هذه الحركة طوال القصّة» (نجم، ١٩٧٧، ص٩٠). فالشخصية في القصّة هي المحور الأساسي، ولا يوجد مكوّن من المكوّنات السردية الأخرى يقتدر على ما تقتدر عليه الشخصية (م.ن، ص١٠٤). فلا لغة من دون الشخصية، لأنّ الشخصية هي التي تنجز الوصف وتعمر المكان، وتتفاعل مع الزمن (م.ن، ص١٠٦). من هنا تظهر أهمية الشخصية في العمل السردي. أمّا القصّة القرآنية التي تغاير القصّة الأدبية شكلاً ومضموناً، فلا دخل للخيال والأسطورة في تكوينها،

فأخبار القرآن وثائق تحمل العبر والمواعظ، وهي تعليم لكثير من مبادىء الصبر والعطاء والمحبّة والثبات على الحق (الشعراوي، ٢٠٠٠، ص٥) بقوله: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عليك أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ (يوسف، ٣). وبقوله: ﴿فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ (يوسف، ١١١). والمهمّ عند دراسة الشخصية التركيز على أفعالها وطموحاتها، لأنّ هذه الأفعال هي التي تلخّص الشخصية وتكشف خباياها.

٢-٢- السردية

تتكون هذه الكلمة من (سَرْد)، وقد تناول (جونات، ١٩٧٢) معنى مصطلح السرد: «في قسم ثالث من أقسام الخطاب القصصى، سمّاه (صوتاً)، ويعنى الصوت السردي القائم بفعل السرد. فالسرد هو النشاط السرديّ الذي يضطلع به الراوي وهو يروي حكاية» (مجموعة من المولفين، ٢٠١٠، ص٢٤٣). والسردية مصطلح استخدمه «غريماس» (١٩٦٦) للدلالة على ما يتكون منه الخطاب سرداً، وهي ظاهرة تتابع الحالات والتحولات في الخطاب والمسؤولة عن إنتاج المعنى (مجموعة من المولفين، ٢٠١٠، ص٢٥٤).

٢-٣- علاقة الرغبة

تجمع هذه العلاقة بين من يرغب: «الذات» وماهو مرغوب فيه: «الموضوع». يرغب الشخصية الرئيسة في هدف الموضوع، فيبرم عقداً مع النفس أو مع المجتمع يقتضي بتحقيق هذا الهدف (زراقط، ١٩٩٩، ص٢٧٠).

٢-٤- الإشتغال العاملي

يقدم غريماس (Greimas) في تصنيفه، فهماً جديداً للشخصيّة، وتدرس الشخصية، حسب هذه النظرية؛ في إطار عدد من العوامل؛ بما فيها: العامل الذات (البطل أو البطلة)، العامل الموضوع (الهدف؛ ما ينقص، ما يرغب فيه البطل)، العامل المرسِل (الدافع والمحرك للرغبة)، العامل المرسَل إليه (ما يحقق الهدف)، العامل المساعد (يعين الذات) والعامل المناوىء (ينعكس على الذات) (م.ن، ص٢٧٣). وتتمثل العوامل في الرسم التالي:

المرسِل← الموضوع← المرسَل إليه / والمساعد← الذات ← المناوىء.

٢-٥ علاقات الترتيب

تتخذ حركة السرد مساراً غيرخطى متسلسلاً يمكن دراسته من خلال التقنيات التالية:

أ- **الإسترجاع**، ويعني استعادة ما حدث في الماضى، وما سبق أن حدث.

ب- **الإستباق**، ويعنى استشراف أحداث لاحقة لبدء زمن الرواية(م.ن، ص ٧٠٦).

٢-٦- علاقات الديمومة

تقوم بدراسة المدة الزمنية على مقارنة الفترة الزمنيّة التي تستغرقها الأحداث في الحكاية (مجموعة من المولفين، ٢٠١٠، ص ٣٧٨). وتدرس سرعة حركة السرد من خلال عدة تقنيات وهي كما يلى:

أ- **التلخيص**، ويعني أداء أحداث آونة زمنية طويلة في مقطع سردى قصير يلخص ما حدث.

ب- **المشهد**، ويعنى آونةِ زمنية قصيرة تتمثل في مقطع نصّى طويل.

ج- **القفزة**، وتعنى تجاوز بعض المراحل في الرواية من دون الإشارة إليها. (م.ن، ص ٧٠٨).

٣- أنواع القصّة القرآنية

يستخدم القرآن الكريم لدعوته أنواعاً متعدّدة من القصّة مثل القصّة التاريخية، والقصّة المَثَلية، والقصّة الإشارية الرمزية

(عطيه، ٢٠٠٦، ص ٦٤). ولقد استخدم القرآن في أغراضه الدينية القصّة الواقعية المقصودة بأماكنها وشخصياتها وحوادثها.

٣-١ القصّة التاريخية

إنّ القصص القرآني حافل بالتاريخ، وكلّ الوقائع والأحداث التي حدثت وجاءت فيه صحيحة تاريخياً، لا يداخلها شكّ أو وهم. لهذا السبب نجد التاريخ مهمّاً بالنسبة للناس، وبخاصّة التاريخ الذي ذكره الله، لأنّ التاريخ مولود حديث العهد، فاتته أحداث لا تحصى في تاريخ البشرية، ولم يعلم عنها شيء. والقرآن يروي بعض هذه الأحداث التي ليس لدى التاريخي علم بها. وقد وعى التاريخ بعض الأحداث، وهو عمل من أعمال البشر القاصرة يصيبه ما يصيب جميع أعمال البشر من القصور والتحريف. أمّا مع القرآن فالأمر مختلف تماما. ويبقى أنّ الشخصية المحورية للقصّة أو الواقعة وما جاءت به من دعوة أو عقيدة فهي قائمة في ذهن الإنسان بشكل راسخ (رضوان، لاتا، ص ١٥٥).

من تلك النماذج قصّة «ذو القرنين» التي وردتْ في سورة الكهف بقوله ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ. ..وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ (الكهف، ٨٣-٩٨). وترجع أهمية هذه القصّة إلى السؤال الذي يطرحه السائلون من مشركي قريش على النبي (ص) حول ذي القرنين. فأجاب القرآن عن هذا السؤال، وهو حافل بكثير من الأخبار، يحمل الموعظة والعلم والمعرفة، فقد قدّم لنا إشارة إلى مجمع البحرين وهو مكان موجود على ساحل المحيط الأطلنطي، وكونها تغرب فيه الشمس، على حسب ما تراه العين، وإلا فالشمس في السماء والعين الحمئة أي المسودّة من الماء، والمحيط إلى جانبها في الأرض. الله تعالى له التحكّم والتصرّف في كلّ أمر (الجزائري، ١٤١٨ هـ.ق. ٣٩٧/٢).

٣-٢ القصّة المَثلية

القصّة المثلية هي نوع من أنواع المثل في القرآن يطلق عليها المثل القياسي، وهو سرد قصصي أو وصفي، يتعاطى أحد أمرين، فهو: إمّا أن يصوّر أنموذجاً من السلوك الإنساني بقصد التأديب أو التمثيل والتوضيح، وإما أن يجسّم مبدأ يتعلّق بملكوت الله ومخلوقاته (عابدين، ١٩٥٦، ص ١٥٨). والقصّة المَثَل تُبرز المعقول في صورة المحسوس، وتكشف عن الحقائق، وتقرّب المعاني إلى الإفهام وتعرض الغائب في معرض الحاضر وتجمع الغني الرائع في العبارة الموجزة السهلة، وتثبّت المعنى في الذهن وتسهّل طريق الوعظ والتأسّي وتدفع إلى الإقناع بأوجز سبيل (شيخ أمين، ١٩٩٤، ص٢٣٩). لقد وردتْ في سورة الكهف باسم قصّة «صاحب الجنتين».في قوله تعالى ﴿اضرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَينِ. ..خَيرٌ ثَوَابًا﴾ (الكهف، ٣٢-٤٤). فتبدأ القصّة بمشهد الجنّتين في ازدهار وفخامة، ويختار التعبير كلمة «تظلم» ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَينِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيئًا﴾ في معنى تنقص وتمنع، ليتم التقابل بين الجنّتين وصاحبهما الذي ظلم نفسه فبطر ولم يشكر، وازدهى وتكبر (قطب، ١٩٩٥، ص ٢٢٧٠).

٣-٣ القصّة الرمزية

قبل أن نقدّم أنموذجاً للقصّة الرمزية في القرآن يجب أن نحدّد نقطتين مهمّتين لفهم «الرمزية» في قصص القرآن، **أولاً**: إنّ الرمزية في قصص القرآن قد جاءت لتأكيد قيمة المعاني، **والثانية** هي ما يسمّى بإيماءات الألفاظ ووقعها النفسي في الصورة الأدبية، وهذا ينقلنا إلى أقدم تعريف للرمز على المستوى اللغوي كان قد قدّمه «أرسطو» من قبل حين رأى أنّ الكلمات رموز لمعاني الأشياء، أي رموز لمفهوم الأشياء الحسية أولاً، ثمّ التجريدية وأنّ الكلمات المنطوقة

رموز لحالات النفس، والكلمات المكتوبة رموز للكلمات المنطوقة (فتوح ١٩٧٧، ص٣٦). **ثانياً**: إن القرآن لا يقصّ قصّة إلا ليواجه بها حالاً، ولا يقرّر حقيقة إلا ليغير بها باطلاً، فهو يتحرّك حركة واقعية حية في وسط واقعي حي، فهو لا يقرّر حقائقه لمجرّد النظر المجرد ولا يقصّ قصصه المجرد للإمتاع الفني (قطب، ١٩٩٥، ص ١٢٤٧). نمثّل على ذلك بقصّة رمزية تكتسب أهمية في الحدث لأنّها أصبحت محوره. وتصبح العلاقة ليست علاقة تشابهية بقدر ماهي إدراك للمغزى الخفي (أحمد محمد، ١٤٠٥ هـ.ق، ص ١٢٥). و بقوله ﴿وَإِذْ قَالَ موسى لِقَوْمِهِ. ..فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا...﴾ (البقرة، ٦٢-٧٣). هذه القصّة المرمّزة التي تدور حول رمز حيواني كالبقرة، جاءت في كتب المفسرين على صور متعدّدة. ولكنّ القصّة القرآنية مع استشفافها لملامح الشخصيات بيسر وسهولة، إلّا أنّها لم تعتمد في عرضها على جانب توضيحي خيالي إيحائي رمزي، كما هو صنيع كثير من الكتّاب الذين أعجزتهم الحيل عن أن يصوّروا نفسية أبطال الرواية إلا باللجوء إلى هذه التوهّمات التي قد تكشف في نظرهم شيئاً ممّا أرادوه، لكنّنا قد أثبتنا غير مرّة أنّ القرآن عندما يكشف لنا عن أبطال القصّة وشخصياتها، يجعلنا قادرين على أن نحلّل النفسيات ونقف على معالم الشخصيات من غير أن يعطينا القرآن شيئاً من الأساليب الإبتكارية، ونموذج هذا غضب موسى عندما رأى قومه يعبدون العجل، وعندما لام أخاه هارون في تركه لهم.

٤- قصّة موسى(ع)

هو موسى بن عمران... بن ابراهيم (ابن كثير، ٢٠٠٣ ص ٢٣١) توزّعت قصّة موسى على عدد من السور القرآنية منها: ١- سورة القصص: [٣-٤٠] ٢- سورة طه: [٧-٩٨] ٣- سورة النمل: [٧-١٤] ٤- سورة الشعراء: ما بين [١٠-٦٦] ٥- سورة المؤمنون: [٢٣-٤٥] ٦- سورة يونس: [٧٥-٩٢] ٧- سورة الأعراف: [١٠٤-١٥٥] ٨- الدخان سورة: [١٧-٣٣] ٩- سورة البقرة: [٤٠-٩٦] ١٠- سورة الكهف: [١١-٦٠] ١١- سورة الأعراف [٦٠-٨٢] ١٢- سورة المائدة: [٥٩-٦٦] ١٣- سورة إبراهيم: [٢٠-٢٥] ١٤- سورة الزخرف: [٥-١٤] ١٥- سورة المومنون: [٤٦-٥٦] ١٥- سورة المومنون: [٤٥-٤٨] وفي السور الآيتة: الذاريات، مريم، التراعات، الصف، هود، الأحزاب، والصافات.

٤- ١- بناء الشخصية في قصّة موسى (ع)

برزت شخصية موسى(ع) في هذه القصّة شخصيةً رئيسةً، قامت عليها القصّة وأغنت أحداثها. ظهر ذلك واضحاً منذ بداية القصّة وحين بدأت قصة سيدنا موسى(ع) في هذه المرحلة ويد الله معه بشكل خفي. لقد ولد موسى(ع) في ظلّ تلك الأوضاع القاسية بقوله ﴿ وَأَوْحَيْنَا إلى أُمِّ موسى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عليه فَأَلْقِيهِ فِي اليم وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إليك﴾ (القصص، ٧). لعلّ أول ما يلفت الإنتباه في قصّة النبي موسى هو تلك الوظيفة التي تُبرز لنا الشخصيات من زوايا المواقف والتوجّهات. بقوله:﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ... فَرَدَدْنَاهُ إلى أُمِّهِ كَي تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يعْلَمُونَ ﴾ (القصص، ٩-١٣). هذه الآيات تروي لحظات حياة موسى الطفل، ويبدو عجز الطفولة فيه واضحاً إذ أُلهِمتْ الأمّ أن ترمي ابنها في اليمّ، مع ما يترتّب على ذلك من قلق واضطراب وفقدان التوازن من جرّاء الخطر المحدق بابنها، هل تطيق صبراً إذا رمته في اليم؟ وبعد ذلك يرمى موسى الرضيع ويصل إلى امرأة فرعون، التى أصرّت حين رؤيتها للرضيع،

على أن يربّى في القصر ممّا يكفل له البقاء حياً، ويظهر الحب والعطف نحو هذا الصبي الوافد من المجهول.

٤-١- ١- الإشتغال العاملي في قصّة موسى

في قصة موسى يتجلى العامل الموضوع في الدعوة إلى الله وقيادة الشعب إلى ظلم فرعون؛ إلاّ أنّ هناك عاملاً مناوىء يحول دون تحقيق العامل الموضوع ألا وهو الدعوة إلى الله، ولكن هذا العامل المناوىء شكّل الإنطلاقة للعوامل المساعدة المتمثّلة في علمه بثقة نفسه. وهذا ما اقترحه (غريماس) في تصنيفه للشخصيّة بحسب ما تفعل فسماها «العامل المرسِل». وبالمقابل، تحقّق الرغبة حاجة لدى عامل آخر يسميه غريماس «العامل المرسَل إليه» (زراقط، ١٩٩٩، ص ٢٧١). وعلاقة المرسل بالمرسل إليه تمرّ عبر علاقة الرغبة أي عبر علاقة الذات بالموضوع: المرسِل «الذات» الموضوع المرسَل إليه (أيوب، ١٩٩٧، ص ١١٦). ظهر العامل المرسل وهو إيمان موسى (ع) بالرسالة التي كلّفه الله القيام بها، وسعيه بكلّ ما أوتي من قوّة لتبليغ هذه الرسالة. بالمقابل كان المرسل إليه وهم قومه الذين رفضوا دعوته ووقفوا في وجهه، فكانوا في تصرّفاتهم معه العامل المناوىء الذي يعمل دائماً على عرقلة الذات الساعية (م.ن).

يقابل هذا العنصر المناوىء العنصر المساعد وهو نبوة موسى(ع) ووحي الله له، وهذا ما ثبّت أقدامه في وجههم وجعله يواجههم دون خوف.

ونجد في قصّة موسى عملاً مهماً يتناسب الرجال وهو رعي المواشي وسقايتها، وعندما ورد موسى عين ماء في مدين، تعرّف فتاتين وأباهما الرجل العجوز الذي لم يرحرجاً في خروج ابنتيه للعمل الشاق مع الرجال بعد أن اطمأنّ إلى حسن أخلاقهما. يقول تعالي ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاء مدينَ... وَأَبُونَا شَيخٌ كَبِيرٌ فَسَقَى لَهُمَا...﴾ (القصص، ٢٣-٢٤). يريد الرجل الصالح موسى زوجا لإحدى ابنتيه وصهراً وولداً أو في مقام الولد. ويتزوّج موسى من الفتاة التي ذهبت إليه تدعوه على استحياء. وهي فتاة عاملة استدعتها الظروف لتقوم مع أختها بعمل الرجال حين عجز أبوهما عنه، وقد أعطت لنا مع أختها صورة للفتاة النبيلة العفيفة الواعية.

وقد بيّنا كل هذا ضمن جدول يكشف لنا عن البرامج السردي الأساسي الذي حفلت به قصّة موسى (ع). خصوصا ما يتعلّق بالدعوة إلى الإله الواحد، وما ساعد على ذلك من جهة أولى، وما وقف حائلاً دون تحقّقه من جهة أخرى. كما يوضح دوائر هذه العلاقات والعوامل:

الموضوع	العامل المساعد	العامل المناوىء	النتيجة	المرسل	المرسل إليه
- الدعوة إلى الله	- نبوة موسى والوحي. - قوته وأمانته وثقته بنفسه. - اندفاعه - المعجزات الإلهية: تبديل العصا إلى ثعبان وتبديل يده إلى يد بيضاء. - ضرب موسى البحر بعصاه	- جهل قوم موسى - جبروت فرعون	- إيمان جماعة من قوم موسى والسحرة - عدم تأثير تهديد فرعون بنسبتهم - تكبر فرعون وعدم إيمانه -عذابه في موته.	- تحقيق دعوته إلى الله. - إثبات وحدانيته. - رؤية مظاهر الفساد. - حبّ التغيير والإصلاح.	- الذات. - قوم موسى.

٤-١-٢- هوية الشخصيات وتحوّلها

إن الشخصية عنصر أساس في عملية القصّ، والشخصية الأساسية في قصّة موسى(ع) هي نبي الله موسى (ع) نفسه. ولئن ساعدتها شخصيات ثانوية أخرى فإنّما المعوّل عليه هو الشخصية الأساسية. وسنحاول إضاءة هويتها والتحوّلات التي طرأت عليها.

٤-١-٣ شخصية موسى(ع) عامّة

شخصية موسى هي الشخصية المحورية، وهنا نلحظ أنّ الأحداث تنهض بمهمّة البناء الفني للشخصية الرئيسة. كما يلي: موسى في الكوخ ← موسى في اليم ← موسى في القصر ← موسى يعود إلى الكوخ.

تظهر شخصية موسى بملامحها الخارجية الدالّة على الرجل القوي الصابر الذي يحظى بنفسية قوية استطاع بها أن يواجه ويصبر ويتحدّى الأذى الذي وجّهه إليه الكافرون، ومع ذلك لم ييأس و لم يتراجع، كذلك يبدو إنساناً متواضعاً. في هذا الموقف. ويتميز النبي موسى بميزتين أخريين تجعلانه مناقضاً للنمطية العادية، الأمر الذي جعله يرقى إلى مصاف بطل الرواية الجديدة، فهو عصبي المزاج قلق، وأحياناً هو متّزن هاديء غير متهور. فملامح الشخصية تتكشّف من خلال ما تعرضه من سلوك (مزاري، ٢٠٠١ م، ص٤١).

إن السرد القرآني يعمد مرة أخرى إلى إعمال المفردة بدلاً عن التعبير المسطّح، إذ نلحظ كلمة «يترقّب»، وفيها نتحسّس حركة موسى وهو يلتفت يميناً وشمالاً، يمشي بخُطى يشوبها كثير من الحذر دلالة على الخوف والقلق، فالسردية القرآنية أهملت الشخصية وأظهرت الإهتمام بجزء واحد فيها، فكلمة يترقّب تخفي سرداً كثيفاً، وهو ما نطلق عليه تقنية الإضمار، أمّا عوامل الطيبة والتعقّل والتوبة فقد صرّح بها القرآن على لسان السارد (وهو الله تعالى) في قوله ﴿وَأَلْقَيتُ عليک مَحَبَّةً منّي وَلِتُصْنَعَ على عَينِي﴾ (طه، ٣٩). ولقد أعلنها موسى نفسه توبة نصوحاً بعد قتله القبطي، حينما قال﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ (القصص، ١٦). هنا تتّضح الكيفية التي يتخلّص فيها السرد من عقدة تقديس الشخصية، ويستثمر بديلاً لها ما ينوب عنها (مزاري، ٢٠٠١، ص ٦٤).

تتميز شخصية الكليم موسى(ع) في هذه المرحلة بالقوة، ولعلّها من أظهر صفاته، بدليل قوله ﴿فوَجَدَ فِيهَا رَجُلَينِ يقْتَتِلَانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ على الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ موسى...﴾ (القصص، ١٥). وتتّصف شخصية هذا النبي أيضاً بالأمانة والعفّة، والدليل على ذلك قول ابن كثير:«إنها حينما جاءته لتدعوه إلى بيت أبيها فإنه أمرها بأن تسير خلفه، فإذا ضلّ الطريق تقذف حجراً أمامه إلى الجهة المطلوبة لئلّا يراها ويسمع صوتها، ثم هي إذا سارت أمامه قد تنكشف من فعل الريح، وهكذا حافظ عليها حتّى أوصلها إلى بيت أبيها، دون أن يصدر منه ما يمسّ الشرف أو الكرامة» (ابن كثير، ١٤١٤هـ.ق، ٣٨٥/٣).

٤-١-٤- التحولات التي مرت بها شخصية موسى

مرّت الشخصية الرئيسة في هذه القصّة بتحوّلات كثيرة، ففي البداية كان سيدنا موسى يمثل شخصية الولد الفقير الذي يولد في الكوخ، وبعد ذلك يرمى في اليمّ، ثمّ يترعرع موسى في القصر، ويعود ثانية إلى الكوخ، ويتضمّن هذا شيئاً من التحوّل. وعندما قام موسى بدعوته كان الدافع إلى ذلك أمرين: هما الرغبة في التغيير والثورة على الفساد والانحلال الأخلاقي، والرغبة في طاعة الله والحصول على رضاه، وقد ساعده في ذلك شخصيته القوية، وصبره ورباطة جأشه، وقدرته على التحمّل، وتوجيه الله له من

خلال ما أوحى به اليه.أخلص موسى العبادة لله، وأسلم وجهه لله، فإنه كان مختاراً بالإصطفاء (ابن كثير،١٤١٤، ٤٥٠/٢). وبالتعلّق النفسي ذاته توجه موسى(ع) إلى ربّه يطلب رؤيته. بقوله ﴿وَلَمَّا جَاء موسى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ اليك قَالَ لَن تَرَانِي وَلَـكِنِ انظُرْ إلى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ (الأعراف، ١٤٣). هكذا كان موسى يدعو الله لكي يهدي قومه سبيل الرشاد، إلّا أنّ عاملاً مناوئاً جعله يتحوّل من الداعي لهم إلى الداعي عليهم، إذ دعا ربه أنّي مغلوب فانتصر، ودعا على قومه بالغرق، وهذا العامل المناوىء تمثّل بعدم استجابة قومه لدعوته ورفضهم الإعتدال والإبتعاد عن الفساد، وتكبرهم لأنّه أتاهم رسول منهم و لم يكن من أكابرهم. ومحور الرغبة والطلب عند كلٍّ من إبراهيم وموسى(ع) ثبات القلب على الإيمان ورسوخ العقيدة بإضافة الدليل العقلي إلى الدليل النقلي، أو كما قيل الترقّي من علم اليقين إلى عين اليقين.

٤-١-٥- هوية شخصية موسي

لم يقدّم لنا القرآن تفاصيل حول صفات شخصية موسى الجسدية، إنما ظلّ الاهتمام والتركيز منصبّاً على جوانب أخرى تتعلّق بما يخدم الدعوة كالجوانب النفسية والخلقية والعقلية والثقافية والإجتماعية، باستثناء قصة اليمّ، حيث أن إلقاءه فيه لم يحدث أي تغيير في شكله الخارجي.

أ- الهوية النفسية: أمّا في ما يتعلّق بالناحية النفسية فإنّ هذه الشخصية اتّصفت بالكثير من القوّة والأمانة والثبات في مواجهة المصاعب، وتميزت بالصبر وعدم الخوف وعدم التنازل عن المبادىء التي بُعث من أجلها. فنجد النبي موسى أيضاً متّصفاً بعصبية المزاج، وكذلك بالذكاء والفطنة، بدليل أنّه حينما تلقّى الأمر بالذهاب لدعوة فرعون لم يرفض الأمر. ودعا قومه بالحكمة والموعظة الحسنة مقتنعاً بأن الدعوة تحتاج إلى قناعة من المتلقي وأنّ الإيمان لا يكون إلا عبر رؤية القدوة والمثال.

ب- الهوية الجسدية: إنّ القوّة هي الصفة الجسدية الوحيدة التي أظهرها القرآن في شخصية موسى، غير أنه لم يمتدحها إطلاقا، بل أرفقها بالمقوّمين العقلي والنفسي، إذ اقترنت القوّة بروح المغامرة، فهي شخصّية النبي المغامر المتطلّع إلى المعرفة، والمتعطّش إلى العلم الذي يبذل ما يستطيع في سبيل طلبه متجاوزاً كلّ الصعاب. إلى جانب ذلك نجد موسى أوّاباً، والأوبة إلى الله والإنابة إليه: طاعته.

ج- الهوية الثقافية: أمّا من الناحية الثقافية فإنّ شخصية موسى (ع) تميزت بثقافة عالية وقدرة عقلية بينتين، وهذا ما ظهر خلال التزام موسى (ع) بحدود معلوماته عن عالم الغيب، حين سأله فرعون: إذا كان الأمر من الظهور كذلك، فلماذا لم يعبد ربّك يا موسى أهل القرون الأولى؟ فكان جواب موسى بصحة الإعتقاد بعلم الله وإحاطته بكل شيء: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لاَّ يضِلُّ رَبِّي وَلا ينسَى﴾ (طه، ٥٢). ويشير هذا إلى أنّ الله استأثر بعلمه، فهو في الغيب المكتوب في اللوح المحفوظ بشقاء الناس أو سعادتهم وعقابهم وجزائهم بما عملوا. وفي هذا من الثناء على الله عز وجل بما هو أهله من صفات العلا (لا يضلّ ربي ولاينسى). وأتمّ موسى(ع) بوصفه لآثار قدرة ربه عز وجل، وضرب مثل الأرض الممهّدة التي يستقرّون عليها ويسلكون فيها طرقاً، والمطر والنبات الأخضر واليابس لهم ولأنعامهم، وهي دلائل وحجج تتعلّق بمحسوسات معروفة لدى فرعون، فأثار بهذه المعلومات تفكير فرعون. بقوله ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى كُلُوا وَارْعَوْا...﴾ (طه، ٥٣-٥٤)

وهذا دليل مقنع على ذكائه وثقافته العميقة. إذ استطاع أن يسكت فرعون ويجعله يقف مدهوشاً عن الرد، وأن يكون هو الشخصية العارفة بخبايا المجتمع، والمطّلعة على طريقة تفكير الناس وسبب اتّباعهم الباطل من دون القدرة على التغيير، فقد كان خبيراً بنفسية فرعون ومن اتّبعه من قومه.

د- الهوية الأخلاقية: تميز النبي موسى بأخلاق نبيلة سامية، وقد رأينا كيف تعامل مع الرجل الصالح وابنتيه، وكيف رضي رعاية الغنم سنين طويلة في مقابل الحصول على زوجة له، مع أنّ بإمكانه التراجع عن الوعد الذي قطعه على نفسه. وفي موقف آخر نجده يعاتب أخاه هارون على عدم وقوفه في وجه قومه عندما عبدوا العجل من دون الله، لأنّ أخلاقه العالية تدعوه إلى نبذ التعصّب لبني قومه. يقول الزمخشري: «ولله درّ هذا الجواب ما أحضره وما أجمعه، وما أبينه لمن ألقى الذهن، ونظر بعين الإنصاف، وكان طالباً للحق» (الزمخشري، ١٩٨٧، ٥٢/٣). هذا كلّه يشير إلى مزاياه الأخلاقية التي لم يتخلّ عنها يوماً.

٤-١-٦- شخصية إمراة فرعون

اتّخذت زوجة فرعون موقفاً حازماً لإبقاء موسى عندها والالحاح على أن يربّى في القصر، ممّا يكفل له العيش برفاهية وإكرام. نجد المرأة أيضاً ترفض رغبة زوجها في قتل الأولاد الذكور، فكانت شخصيتها ثابتة لا تتغير فظلّت على ما كانت عليه. بقوله ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَينٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ ينْفَعَنَا...﴾ (القصص، ٩). عندما يؤتى بالنسوة لإرضاع الطفل الذي يأبى ذلك، تقترح الاخت أخذه إلى عجوز ترضعه: ﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ على أَهْلِ بَيتٍ يكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُون﴾ (القصص، ١٢). وهذا يشير إلى عناية الله بأمر الطفل، وعن مكانته في نفس المرأة، فقد «ألقى الله محبته في قلبها» (الآلوسي، ١٤١٥هـ ق، ٨٢/١٥).

٤-١-٧- شخصية العبد الصالح

تأتي شخصية العبد الصالح بعد زوجة فرعون في الأهمية. وقد ذُكر بقوله:﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَينَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ (الكهف، ٦٥). فشخصية العبد الصالح التي تنطق بها الآية، هي شخصية العالم العابد الذي يتحرّك وفق علم وبصيرة نافذة ووعي بحقائق الأمور التي أُلهم بها، وهي شخصية العالم المتواضع الذي يرّد علمه ومعرفته إلى مصدرها الحقيقي، وهي شخصية المعلّم الذي يعلّم ويرشد ويختار لذلك أنسب الأوقات وأفضل الساعات بما يتناسب والهدف المراد تحقيقه. فقد كانت هذه الشخصية صادقة ثابتة منذ بداية القصّة إلى نهايتها.

٤-١-٨- شخصية فرعون

صوّر القرآن فراغ عقل فرعون من العقيدة وخواء نفسه من نور اليقين، فانحرف وضلّ بانحرافه وفساده، إذ انحصر تفكيره في نطاق ضيق من المادية بمعاييرها الحسّية والإجتماعية والمنطقية. لقد ادّعى فرعون الألوهية، بقوله: ﴿يا أَيهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم منْ إِلَهٍ غَيرِي﴾ (القصص،٣٨). فانحرف عن فطرته ومحورها الغريزي بالحاجة إلى الخالق المدبر، وزين له الشيطان ذلك الزعم والادّعاء بمرتكزات الملكية المادية الدنيوية، بقوله ﴿وَقَالَ موسى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيا رَبَّنَا لِيضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ﴾ (يونس، ٨٨). كان فرعون شخصية متباينة المواقف، متناقضة مع نفسها، قوية في ظاهرها، ضعيفة في باطنها.وقد أثبتت نهايته صحّة هذا القول.

٤-٢- بناء الزمان في قصّة موسى(ع)

إنّ بناء الزمان في القصّة يعّد أحد المكوّنات الأساسية للسردية (زيتون، ٢٠٠٥، ص١١٨) ويخضع الزمن في العمل القصصي لمشئية الكاتب، فيلجأ إلى التلاعب به فيؤخّر أو يقدّم، بحسب ما تقتضيه استراتيجية الرواية، ويعيد ترتيب الوقائع التي حدثت في زمن واحد ترتيباً تصاعدياً. والزمان على حدّ قول عبد الملك مرتاض أنواع مختلفة، منها الزمن المتواصل- الزمن المتعاقب- والزمن الغائب والزمن المتشظي والزمن الذاتي أو النفسي الذي يتناقض فيه الذاتي مع الموضوعي، فتحوّله الذات إلى زمن غير عادي يعكس الحال النفسية التي تعيشها الذات في القصة. والزمن في العمل القصصي زمنان: «أولهما زمن المادة الروائية أو زمن الوقائع» (دعكور، ١٩٨٦، ص١٠١)، وهو زمن الأحداث كما جرت، وثانيهما زمن الرواية أو الزمن النصي وهو الزمن التالي لزمن الحدث (زراقط، ١٩٩٩، ص ٧٠٤)، أو زمن السرد الذي يرتبط بالقاص والراوي، وهذا ما يسمّى بالحبكة أي إجادة أحكام البناء (م،ن، ٧٠٤). و الزمن أيضاً عنصرأساس من عناصر القصة (حجازي، ٢٠٠٤، ص٩٣). إنّ مراجعة سريعة للبنية الزمنية في القصص القرآني تُرينا مدى هيمنة المشهد الحواري على السرد القصصي القرآني. ومن خصائص هذا المشهد أنّنا نجد فيه التحام الزمن القصصي بالزمن السردي، ويصير حاضر السرد هو حاضر الأحداث (مبروك، ١٩٩٨م، ص١٥٦)، فيتحوّل المتلقّي إلى مشاهد يعاين الوقائع بنفسه، ينفعل بها، ويتفاعل معها كأنّه واحد من شخصيات المشهد.

أما بالنسبة إلى علاقات الترتيب بين زمني القصّة والسرد فكثيراً ما تبدأ القصص باستباق يهيئ نفس المتلقّي ويوجّه توقّعاته، على نحو ما نجد في قصّة آدم، إذ نجد الإستباق الإعلاني الذي يتصدّر أكثر القصص. وفيه يخبر عزّ وجلّ الملائكة بأنّه سيخلق بشراً من طين، وما يأتي بعد ذلك يترتّب بوجه من الوجوه على هذا الإستباق، كما في رفض إبليس السجود لمخلوق طِيني. والإسترجاع كذلك يقابلنا في القصص القرآني، ولكن بصورة أقلّ من الإستباق الذي يبدأ به أكثر القصص؛ فنجد الإسترجاع مثلا مختلطا بالإستباق في قصّة هود(ع): ﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيا. ... لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ (هود، ٦٠). وهذا الإستباق خاصّ بالقصة القرآنية؛ وهذا راجع أولاً إلى طبيعة صاحب الخطاب عز وجل، وثانياً إلى طبيعة القصة القرآنية التي هي وسيلة رئيسة من وسائل الدعوة.

٤-٢-١- علاقات الترتيب

تنهض علاقات الترتيب على مجموعة من التقنيات، منها الإستباق والإسترجاع، ونتوقّف أمام هاتين الأخيرتين لما لهما من دور في قصّة النبي موسى (ع).

أ - الإستباق: نجد نماذج من الإستباق في قصّة سيدنا موسى(ع)، في أثناء ولادته، عندما أوحي الله إلى أُمّ موسى أن تجعله في صندوق وأن تلقيه في البحر خوفاً من فرعون بقوله ﴿ وَأَوْحَيْنَا إلى أُمِّ موسى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عليه فَأَلْقِيهِ فِي اليم وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ اليك وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (القصص، ٧). فامتثلت أمّ موسى لأمر ربّها. في هذه الآية التي تتضمن حواراً بينها وبين ربّها يتحدّد مستقبل موسى ومستقبل قوم فرعون على أساسه. إذ أراد هذا الأخير أن يقتل كلّ الذكور، والله سيردّه إلى أمّه وهو من المرسلين. إنّ الإستباق في قصّة موسى جاء إلهاماً إلهياً للمستقبل على لسانه سبحانه. ويظهر الإستباق في موقف تعليمي معجز، يعلّم الله سبحانه وتعالى فيه موسى(ع)، ويعرض عليه المعجزات ليتّدرب

كيف يستعملها، وليترع الله من قبله الخوف، وحتّى لا يفاجأ أمام فرعون ويخاف بقوله: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً. .. تَخْرُجْ بَيضَاء مِنْ غَيرِ سُوءٍ ...﴾ (القصص، ٣٠-٣٢).

ب- الإسترجاع: تخضع القصّة القرآنية لزمنين مختلفين: منها ما يتعلّق بزمن القصّة القرآنية ومنها ما يتعلّق بزمن النص القرآني. وزمن القصّة يبدأ مع الدخول الفعلي في عالمها، وزمن النص القرآني يحيط بزمن القصّة ويحتويه، وهو الزمن الحاضر للسرد. فالقصّة القرآنية تكون استرجاعاً أو استباقاً حين ترتبط بهذا الزمن أو بهذا الحاضر الزمني للنص. وهذا ما يؤكّده قوله: ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيءٍ حتى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا فَانْطَلَقَا حتى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيئًا إِمْرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ (الكهف،٧٣-٧٠). وهنا الإسترجاع يأتي بهدف التذكير وبصيغة الخطاب المسرود، وقد نجده أحياناً يأتي بصيغة المنقول المباشر بعد أن يتمّ التحضير له بصيغة الخطاب المسرود، ففي سورة الكهف يظهر الإسترجاع من خلال عودة الخالق بالمروي له نبيّنا محمد(ص) إلى ما قبل زمن القص. وهذه الآية تبين لنا الإسترجاع لإنّ تذكير محمد(ص) يعني نقرأ عليك يا محمد(ص) بوساطة الروح الأمين من الأخبار المهمّة عن موسى والعبد الصالح. وكذلك يظهر الإسترجاع في حوار العبد الصالح وسيدنا موسى عندما قال الأول إنّ موسى لم يستطع أن يصبر عليه، مع من تذكيره لوعده. لقد نسي موسى ما قاله، وبعد ذلك يشرح العبد الصالح كلّ الأعمال التي جرت، بقوله ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ ... فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ...﴾ (الكهف، ٧٩-٨٢).

٤-٢-٢- علاقات الديمومة

سندرس داخل إطار هذه العلاقات تقنيات التلخيص والمشهد والقفزة، كونها ذات تأثير كبير في بناء قصّة النبي موسى(ع).

أ- التلخيص: عندما اختار اللهُ موسى(ع) وقال له استمع إلى قولي وهو الوحي، وأنا ربّك فاعبدني وصلّ لذكري، ثم انتقل سريعاً إلى يوم القيامة القادم، لِتنال كل نفسٍ جزاء ما عملت من خير أو شر. بقوله ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يوحَي إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ...﴾ (طه، ١٣-١٥). إنّ التلخيص في قصة سيدنا موسى يظهر من خلال الآيات المذكورة التي تعني أنّه قد جاءك أمر عظيم هائل فتأهّبْ له واجعل كلّ عقلك وخاطرك مصروفاً إليه (الرازي، لاتا، ١٩/٢٢). وتطرح مسألة الساعة القادمة موضوع إخفائها، والحكمة من إخفائها وإخفاء وقت الموت أنّ الله حكم بعدم قبول التوبة عند قيام الساعة وعند الإحتضار (الصابوني، ١٩٩٤، ٢٣٢/٢). وظهرت تقنية التلخيص خلال الحديث عن ذهاب موسى إلى الجبل لمناجاة ربّه، واتخذ قومه عجلاً يعبدونه من دون الله، وقد صنعه لهم السامري وأمرهم بعبادته. ولّما رجع موسى غضبان منهم لعبادتهم العجل، واتّجه إلى أخيه لشدة حزنه، وأخذ يشدّه من رأسه ويجرّه نحوه من شدّة الغضب. ﴿وَلَمَّا رَجَعَ موسى إلى قَوْمِهِ غَضْبَانَ. ..وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يجُرُّهُ اليه قَالَ ابْنَ أُمَّ...﴾ (الأعراف، ١٥٠). ليس التركيز هنا على الحدث هو المطلوب بل أخذ العبرة، وإذا كان الأمر كذلك فإنّنا نجد أنّ القصّة القرآنية في هذه النقطة لا تفصّل بل تمرّ مرور الكرام، والهدف هو إبراز عبرة تسوقها القصّة منذ البداية، خصوصاً في السور التي ذكرت عدداً كبيراً من الأنبياء.

ب– المشهد: يظهر المشهد من خلال الحوار بين الله سبحانه وبين سيدنا موسى حينما طرح العصا المعجزة. بقوله ﴿ قَالَ أَلْقِهَا يا موسى فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى...﴾ (طه، ٢١-٢٢). تظهر المعجزة في هذا المشهد متمثّلة بالعصا التي تسعى كالحية، والسؤال لم يكن عن وظيفة العصا في يده، إنّما كان عمّا في يمينه. والقدرة القادرة تصنع بتلك العصا في يد موسى ما لم يكن يخطر له على بال. ووقعت المعجزة الخارقة التي هي معجزة الحياة.

ج– القفزة: تظهر القفزة في قصّة موسى (ع) في سورة الشعراء عندما يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ موسى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ فَأَوْحَيْنَا إلى موسى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ... ﴾ (الشعراء، ٦١-٦٦). حدثت مجموعة من الوقائع لم تُذكر في هذا الموضع. لقد عاش موسى وبنو إسرائيل مدّة من الزمن بعد حادثة السحرة الذين أسلموا للّه ربّ العالمين، ووقعت فيها الآيات الأخرى المذكورة في سورة الأعراف، قبل أن يوحي الله لموسى بالرحيل بقومه ليلاً، بعد تدبير وتنظيم. هنا تصل المعركة إلى ذروتها، فموسى وقومه أمام البحر وليس معهم سفينة لنجاتهم، وقد قاربهم فرعون بجنوده. قال أنصار موسي: إنّا لمدركون، ولكنّ موسى الذي تلقّى الوحي من ربه لا يشكّ لحظة بالنجاة، وإن كان لا يدري كيف ستكون. إلا أنّه لم يطل انتظار موسى لنصر الله، فضرب البحر بعصاه، فانفتح الطريق وسار موسى ومن معه في الطريق اليابسة بين أمواج البحربقدرة الله. وكانت النتيجة أن خرج موسى ومن معه سالمين، أمّا فرعون وجنوده فقد انطبق عليهم البحر فأغرقهم أجمعين.

٤ – ٣– بناء المكان في قصّة موسى(ع)

إنّ المكان، يشكّل جزءاً مهمّاً من الفضاء الروائي، وذلك في مجموعة منتقاة من القصص التي حفل بها القرآن.لأنّ الفضاء الروائي يتحدّد بالمكان في زمان محدّد (ابراهيم، ٢٠٠٣، ص٨). ولذلك ألحّ الكثيرون على مسألة تلازم المكان والزمان في العمل الروائي. ونلحظ من إشارات هذا التلازم عدم ثبات المكان إذ أنّه متحوّل أبداً عبر الزمان (م.ن، ص١٠). فالمكان في القصّة هو المساحة التي تفصل الشخصيات بعضها عن بعض، وهو الذي يفصل بين القارىء وعالم الرواية، هذه المساحة هي التي تنتقل بالقارىء إلى عوالم مختلفة وأماكن متنوّعة.

٤–٣–١ دوائر المكان ومكوّناته

أدّى المكان في قصص الأنبياء دوراً رئيساً، ولم يكن حيادياً، وقد ارتبط بالأحداث بشكل طبيعي، فكان لكلّ مكان دلالة ورمز، ولاعجب في ذلك ما دامت قصّة موسى تتناول الواقع من جهة وتتناول العقيدة والدعوة إلى الله وتبليغ الرسالة من جهة أخرى، ونذكر هذه الدوائر كما يأتي:

أ– اليمّ: قدّر الله أن تحمل أمّ موسى به، ولكنَّها خافت في أثناء حملها على مولودها من القتل، فألهمها الله أن تضعه في صندوق وتلقي به في نهر النيل؛ فامتثلت أمّ موسى لأمر ربّها، وجهّزت صندوقاً خشبياً صغيراً ووضعت موسى بداخله وألقت بالصندوق في الماء وقالت لأخته: راقبي الصندوق. بقوله ﴿... فَإِذَا خِفْتِ عليه فَأَلْقِيهِ فِي اليم وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي...﴾ (القصص، ٧). وهذا البحر شكّل الدائرة الأساسية لأحداث القصة، وتحوّل بقدرة الخالق من حال إلى أخرى، ففي حين كان المكان الهائج المخيف

أصبح المكان الطبيعي لموسى، وأصبح الصندوق الخشبي رمز النجاة، ورمز الإيمان للمؤمنين.

ب- المدينة التي قتل بها موسى رجلاً: كبر موسى وترعرع في بيت فرعون، ولما أصبح شابّاً حباه الله بالشجاعة والقوّة والمروءة. قدّر الله أن يمشي موسى يوماً في المدينة، فإذا به يرى اثنين يتعاركان، الأول من شيعته والثاني من شيعة فرعون. وذلك أنّ موسى(ع)كانت له بديار مصر صولة بسبب نسبته إلى تبنّي فرعون له وتربيته في بيته(ابن كثير، ٢٠٠٣، ص٢٣٦). فاستنجد به الذي من بني إسرائيل، فما كان منه إلاّ أن حاول الفصل بينهما برفق ودفع بالفرعوني دفعاً خفيفاً فمات. وهذا العمل من موسى (ع) كان قبل النبوّة. بقوله ﴿ فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ. .. فَوَكَزَهُ موسى فَقَضَى عليه...﴾ (القصص، ١٥).

ج- مدين: علم موسى أنّ خبر موت الرجل الفرعوني شاع في المدينة، وأنّ جنود فرعون يبحثون عنه في كل مكان لإلقاء القبض عليه، فقرّر أن يتّجه تلقاء مدين، ووصل إليها بعد مسيرة ثمانية أيام بلياليها، وهذه المدينة تقع بين الشام والحجاز بجانب العقبة (زيدان، ١٩٩٨، ٣٠٧/٢). مدين هي مدينة قوم شعيب(ع)، بعد ذلك شاهد امرأتين تنتظران لسقاية ماشيتهما، فما كان منه إلّا أن أخذته النخوة والشجاعة وقام بسقاية ماشيتهما قبل الرعاة الآخرين. بقوله ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مدينَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يهْدِينِي سَوَاءَ السَّبِيلِ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مدينَ وَجَدَ عليه أُمَّةً... ﴾ (القصص، ٢٢-٢٣).

د- جبل الطور في سيناء: أقام موسى في أرض مدين عشر سنين، وعندما قدّر الله إنهاءَ إقامته فيها ألهمه أنْ يعود إلى مصر، فوصل إلى وادٍ مقدّس فيها يسمّى وادي «طُوى» وهو الوادي المحاذي لجبلِ الطور. بقوله ﴿ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا...﴾ (القصص، ٢٩). وكانت ليلةً باردة مظلمة، فضلَّ الطريق. نظر أمامه إلى سفح جبل الطور فرأى ناراً مشتعلَة، فاستبشرَ خيراً وأنس بها، وطلب من أهله أن يمكثوا مكانهم، لأنه سيذهبُ إلى النار، فقد يأخذ منها جمرةً ويحضرها إلى أهله ليصطلوا بها، ولّما وصل النار ناداه الله، وأخبره أنّه في الوادي المقدس طوى، وطلب منه أن يخلعَ نعليه وأمره بإلقاءِ عصاه، ولّما جعلَها اللهُ حية تسعى خاف موسى فطمأنه الله وأعطاهُ آيةً أخرى وهي يدُه السمراء، إذا أدخلَها في جيبه تكون بيضاءَ من غير سوء.

هـ - البحر: أمر الله موسى وأخاه هارون أن يستعدّا للخروج من مصر، بالإجتماع أولاً في بيوت متجاورة، يؤكّد ذلك الله بقوله: ﴿وَأَوْحَينَا إلى موسى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيوتًا وَاجْعَلُوا بُيوتَكُمْ قِبْلَةً... ﴾ (يونس، ٨٧). فلما اجتمعوا وحان وقت الخروج علم فرعون من جواسيسه بخروجهم، فأراد أن يصل إليهم. عندما وصل بنو إسرائيل إلى شاطىء البحر يئسوا وظنّوا أنّ ساعة هلاكهم قد حانت، وموسى(ع) يقول إنّهم ناجون، ذلك أنّ الله أوحى إلى موسى بقوله ﴿ فَأَوْحَينَا إلى موسى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ (الشعراء، ٦٢-٦٣). ما إن وصل فرعون إلى شاطىء البحر ورأى انشقاق البحر، حتّى أخذته العزّة بالإثم، وسار وراء موسى ومن معه وهو يحسب أنّه ناج. وإذا البحر ينطبق عليهم، ولّما أدركه الغرق وأيقن بالهلاك أعلن إيمانه، ولكن بعد فوات الأوان بقوله ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيا وَعَدْوًا حتى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ...﴾ (يونس، ٩٠-٩٢).

و- مجمع البحرين: المقصود بمجمع البحرين بحر الروم أي البحر الأبيض، ومجمعهما مكان التقائهما في منطقة

البحيرات المرّة. أو أنه مجمع خليجي العقبة والسويس في البحر الأحمر. وهذه المنطقة كانت مسرح تاريخ بني إسرائيل بعد خروجهم من مصر. وقد تركها القرآن مجملة فنكتفي بهذه الإشارة (قطب، ١٩٩٦، ٢٢٧٨). نفهم من سياق القصّة فيما بعد، أنّه كان لموسى(ع) هدف من رحلته هذه التي اعتزمها، فهو يعلن تصميمه على بلوغ مجمع البحرين مهما تكن المشقّة: ﴿أو أمضي حقبا﴾ والحقب قيل عام، وقيل ثمانون عاماً. على أية حال فهو تعبير عن التصميم، لا عن المدّة على وجه التحديد (م.ن، ٧١/٥).

وقال موسى بن عمران حتّى أبلغ مجمع البحرين، حيث أرشدني ربّي إلى لقاء عبد هناك من عباده هو أكثر مني علماً حتّى أتعلّم منه علماً يزيد من علمي أي أواصل سيري زمناً طويلاً حتى أظفر بهذا العبد الصالح لأتعلّم منه (الجزائري، ١٤١٨، ٣٩٢/٢). في هذه القصّة تظهر أهمية المكان من القيمة التي أسقطتها الشخصية الرئيسة عليه، إذ أنها قد وضعت لنفسها هدفاً ترجو الوصول إليه وهو لقاء العبد الصالح للإفادة من علمه، وعلامة اللقاء هو بلوغ هذا المكان ونسيان الحوت فيه ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَينِهِمَا نَسِيا حُوتَهُمَا... ﴾ (الكهف، ٦٠). إنّ مجمع البحرين هو نقطة الإنطلاق التي تبدأ منها أهمّ أحداث القصّة، وهو أهمّ مرتكز مكاني، وهو منطلق الحديث ولذا بدأ به، ولذلك فإنّ موسى وفتاه لمّا جاوزا هذا المكان وانتبها بعد ذلك لنسيان الحوت وعودته إلى البحر حيا، لم يلبثا أن عادا إلى ذلك الموضع حيث الصخرة التي نسي الفتى الحوت عندها، فتسرّب إلى البحر ليصل موسى إلى غايته، وليلتقي العبد الصالح. إنّ المكان هنا يضمّ العناصر الفنية للقصّة جميعها، وهو يسهم بشكل كبير في نموّها وتطوّر أحداثها بدءاً من الإستعداد للّقاء، وانتهاءً بمراحل الرحلة التي ترتّبت على هذا اللقاء.

في بداية الرحلة كان التوّجه إلى البحر الذي لم تذكره الآيات صراحة، وإنّما دلّت عليه السفينة وهنا تحديداً تبدأ أحداث المرحلة الأولى من القصّة، وساحتها المكانية متمثّلة في البحر وما يدور فيه من مواقف مرتبطة بهذا المكان. وبعدها يتمّ الإنتقال إلى المرحلة الثانية، وتبدأ فيها الأحداث بقتل الغلام. ولا نلحظ أي تصريح بالمكان أو تلميح إليه، يقول تعالى: ﴿ فَانْطَلَقَا حتى إِذَا لَقِيا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيةً...﴾ (الكهف، ٧٤). أمّا الرحلة الثالثة فقد كانت إلى القرية ﴿...فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يرِيدُ أَنْ ينْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عليه أَجْرًا﴾ (الكهف، ٧٧). وقد دلّ القرآن على المكان بإضافته إلى أهله، فالأصل هم أهل القرية الذين دار الحدث بينهم وبين أبطال القصّة، وساحة هذا الحدث هو القرية والجدار القائم فيها.

ز– النار: ظهر مكان النار في هذه القصة حاملاً مجموعة من الدلالات، فهو المكان الذي كان يستخدمه الله برهاناً قاطعاً، وهو مكان غير منظور وغير مدرك بالإحساس. أمّا الكافرون فإنّهم ينظرون إلى المكانين (الجنّة والنار) نظرة الرافض. وقد ربط الله هذا المكان بما هو محسوس في الحياة الدنيا، ليقرّب الفكرة من عقل الإنسان، وهذا المكان (النار) فقد ارتبط بما له من علاقة نتيجة ارشاد سيدنا موسى في الليلة المظلمة وليس من نور إلا نور الله. فيصل موسى في هذا المكان إلى مقام النبوة. ﴿... إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعلي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ على النَّارِ هُدًى فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِي يا موسى﴾ (طه، ١٠). هو تقرير للتوحيد وإثبات له عبر الوحي، وباخباره بأنه لا إله إلا هو أي لا معبود غيره وأمره بعبادته.

٤–٣–٢– المكان الاشارة والرمز

البحر الذي يحمل دلالة العذاب والغرق في هذه الدنيا، غدا يحمل دلالة النجاة بالنسبة إلى موسى، كما غدا رمزاً

لانطلاق دعوته وحجّة للدفاع عن عقيدته ورسالته، إذ يدّل انشقاق هذا البحر على صحّة تلك الدعوة، ورمزاً لبطلان عقيدة فرعون وقومه. إنّ مسرح الأحداث كان في الصحراء، إلّا أنّ هذا المسرح تحوّل إلى بحر هائج الأمواج: ﴿إِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ (البقرة، ٥٠). ولم يرد ذكر الصحراء في القصّة، ولكنّ الإشارة الدالّة عليها كانت من خلال سخرية قوم موسى به، فلو كان فرعون وقومه يسكنون في مكان قريب من البحر لما سخر منه قومه زمن الحرب مع موسى، فسخريتهم منه دليل على قيامه بأمر مخالف للمألوف. ولكنّ موسى كان على يقين من أنّ البحر سيجد وظيفة له في هذا المكان الذي تحوّل إلى مكان يعبره قوم موسى للنجاة من شرّ فرعون، ولذلك فإنّ هذا التحول في المكان كان مرتبطاً بوعيد موسى لقومه.

٤-٣-٣- وظيفة المكان في قصّة موسى

يؤدّي المكان مجموعة من الوظائف في القصّة، وهذه الوظائف تتلاءم مع استراتيجية تلك القصّة وتنسجم معها، ويمكن الاكتفاء بتفصيل وظيفة واحدة في قصّة موسى، لأنّ لها أهدافاً محدّدة.

٤- ٣ -٤- الوظيفة التفسيرية

عندما توافق العبد الصّالح مع موسى (ع) على رحلة تعلّمية، وعد هذا الأخير العبد الصالح أن يصبر على السير معه وأن يطيعَه دلالة على الأدب في الصحبة والسفر. بقوله ﴿ستجدنى إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ (الكهف، ٦٩). اشترط عليه العبد الصالح أن يسير معه متعلّماً وأن لا يسأله عن شيء وأن لا يعترض على شيء وأن لا ينكَر عليه ما يراه منه، وأن ينتظر ليعلّلَ له العبد الصالح أفعاله ويبين له حكمة ذلك: ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيءٍ حتى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ (الكهف، ٧٠). بينما كانا راكبين في السفينة، وهي تشق طريقها في الماء، نظر موسى(ع) إلى العبد الصالح فوجده يقْدِمُ على فعلٍ عجيبٍ!. لقد أخذَ بيديه لوحاً خشبياً يمنعُ دخولَ الماء إليها فانتزعه واقتلعه! استغرب موسى فعلة العبد الصالح وسارع إلى إنكار ذلك، بعد ذلك قطعت السفينة المسافة ووصلتْ إلى محطّةٍ أخرى، ونزل موسى والعبد الصالح منها وسارا على ساحل البحر. شاهدا في سيرهما غلماناً يلعبون على الساحل. نظر العبد الصالح إلى الغلمان اللذين يلعبون، ثم توقّف عند أحدهم ودقّق فيه النظر، ثم أقبل عليه وأخذ برأسه، فاقتلعَه بيده وقتلَه. ونسي موسى(ع) ما كان من وعده للعبد الصالح بعدم الإعتراض وأقبل عليه معترضاً منكراً، وقال له: كيف تقتل نفساً زكية بريئة؟ وتابعا سيرهما على ساحل البحر، فأتيا قرية ودخلاها وطلبا من القرية الطعامَ فأبوا أن يضيفوهما، استغربا من موقف أهل القرية، وسارا في طرقاتها وممرّاتها، فشاهدا جداراً على وشك السقوط. أقبلَ العبد الصالح على الجدار وقام بإصلاحه وإعادةِ بنائه، وموسى ينظر إليه مستغرباً. ولّما أصلحَ الجدارَ أقبل عليه موسى منكراً. بقوله ﴿ فَانْطَلَقَا حتى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا. .. فَانْطَلَقَا حتى إِذَا لَقِيا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيةً... انْطَلَقَا حتى إِذَا أَتَيا أَهْلَ قَرْيةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يضَيفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يرِيدُ أَنْ ينْقَضَّ...﴾ (الكهف، ٧١-٧٧). وتكون الحكمة من خرق السفينة لأنّها كانت مصدر لرزقهم. ويعلم أن ملكُ المدينة رجلاً ظالماً، وإن وصلتْ السفينة إلى المدينة يأخذها غصباً، ولذلك خرق العبد الصالح السفينة كيلا تؤخذ عدواناً. وكان تأويل العبد الصالح لحادثة قتل الغلام أنّ الله أخبره أنّ هذا الغلام سيختار الكفر عندما يكبر، وأنّ أبويه كانا

مؤمنين صالحين، وللغلام الصغير مستقبل أسود، لهذا أمره الله أن يقتلَه. كشف العبد الصالح عن الحكمة من بناء الجدار بالقول إنّ الله أعلمه أن الجدارَ ملْكٌ لغلامين يتيمين في المدينة، قائماً على كنــز، ولو سقط الجدار فسيظهر الكتر الذي تحته، وتضيع ثروة الغلامين اليتيمين. بقوله ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ... وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَينِ... وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَينِ يتِيمَينِ كَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا...﴾ (الكهف، ٧٩-٨٢).

٤-٣-٥- علاقة المكان بالشخصيات

ارتبط وجود الشخصيات في قصّة سيدنا موسى(ع) بالمكان من القصّة. ونظرة موسى إلى هذا المكان وعلاقته به غايرت نظرة القوم وعلاقتهم به، فكلّ نظرة تمثّل نقيضاً للأخرى. وتظهر أهمية المكان في قصّة سيدنا موسى حينما ذكر الله اسمها «امرأة فرعون» في القرآن. فهي التي آمنت بالله وطلبت إليه أن يبني لها عنده بيتاً في الجنّة، لأنّ له مكانة عظيمة عندها، بقولها ﴿ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (التحريم، ١١). فنجّاها الله بما حباها من حبّ صادق للطفل موسى وحرصها على بقائه حياً، وشفاعتها فيه، بقوله: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَينٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ ينْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ (القصص، ٢٨/٩). ولعلها خوّفت زوجها فهاب أن يقتل موسى بعد ما سمع عن مؤمن آل فرعون، فقرّر أن يتحقّق بنفسه من وجود إله موسى.

٥- النتيجة

لقد التزم الأدب القصصي القرآني قضايا الدعوة إلى الله وتسليط الضوء على ما جاء به الأنبياء في أزمنة ساد فيها الكفر والضلال، فحملت قصصه رسالة الإصلاح والتغيير والتوعية الفكرية والإصلاح العقائدي، والإنتقال بالمجتمع من التخلّف الفكري العقائدي إلى التوحيد وعبادة الله. وقد سعى الأنبياء من أجل التغيير والخروج من عبادة الأوثان إلى عبادة الإله الواحد. وأمّا في هذه الدراسة فتبدو لنا الشخصية القرآنية أنّها تميزت بالواقعية، فراحت تنطق بهموم الناس وتعبر عن لسان حالهم وعن المجتمع إنطلاقاً من رغبات ونوازع تدفعها إلى ذلك. مع ما يثار حول هذا النوع من القصص من قضايا فنية وأدبية. كذلك بينت بعض قيم الحياة مثل قيمة الإيمان؛ لأنّ هدف القرآن إقامة مجتمع مسلم على أساس الإيمان. ومن نتايج البحث باختصار:

١- تسهم هذه الدراسة في الكشف عن المجال الفني الذي يناط به بناء الشخصية القرآنية والإنسجام الوجداني والشعوري معه. وتحليل الشخصية بأبعادها في القصة القرآنية من خلال التعبير القرآني المعجز ببيانه وبلاغته وفصاحته.

٢- تناول الشخصية تناولاً نقدياً ينبع من تصور إسلامي شامل عن الكون والإنسان والحياة.

٣- ويؤدّي عامل الزمان دوراً أساسيّاً في البناء القصصي والروائي، إذ يشكّل إطاراً عميق التأثير للأحداث والمواقف التي تتشكّل عبرها العلاقات الإجتماعيّة المتنوّعة، مع ما تحتويه من صراعات متعدّدة الوجوه، سواء أكانت معلنة أم خفيّة كما أن الزمن الخطّي يتكسّر. فإنّ هذا يفسح المجال لتشكيل البناء الروائي بما يخدم استراتيجيّة القصّة. تقنيّات الديمومة كشفت عن نفسيّات الشخصيات وعلى وجه الخصوص نفسيّة موسى(ع) ورعايته للمواشي في سنين طويلة أثناء إقامته في مدين والتزامه للعهود التي قطعها و زواجه من ابنة الشيخ و لذلك في رحلته مع العبد

الصالح بحثاً عن المعرفة و يأتي حواره الحاسم مع فرعون تأكيداً للدور الذي أدّته تلك التقنيّات في بناء القصّة.

٤- تضمّنت كلّ واحدة من القصص القرآنية إشارات كثيرة إلى المكان الذي ورد على شكل دوائر ذات مكوّنات معينة، وقد تجرّد هذا المكان من حياديته، ليسهم بشكل فعّال في بناء القصّة. تنقّل النبي موسى (ع) في غير مكان في أثناء نهوضه بدعوته إلى التوحيد، من أرض كنعان إلى مصر، فإلى أرض كنعان مرّة أخرى، وقد أسهم المكان من خلال واقعيته في بناء قصّة هذا النبي، ويطول بنا الحديث إذا ما رحنا نعدّد الأمكنة التي وردت في قصص الأنبياء في القرآن، وهي أمكنة واقعية إجمالاً، إلاّ أنّها جميعاً قد شكّلت الإطار العام الذي تحرّكت فيه شخصيات الأنبياء البررة، وسعت إلى تأدية الرسالة التي كُلِّفت بحملها وإيصالها إلى المجتمع. لقد كانت الأمكنة مجالاً من مجالات الصراع الأبدي بين قوى الحقّ وقوى الباطل، قاد الأنبياء قوى الحق متسلّحين بإيمانهم وإخلاصهم، وكُتب لهم تحقيق النجاح بدعم من ربّ العالمين وبإرادته، ولكن إلى حين، ثمّ لا تلبث قوى الباطل أن تعود إلى الظهور مرة بعد أخرى. أمّا في قصّة موسى فقد أدّى المكان دوراً كبيراً في إثبات نبوّة هذا الرسول، فمن قصر فرعون إلى مدين، ومن رعي الماشية إلى البعثة، إلى الرحلة مع العبد الصالح، ومن جبل الطور إلى أرض مصر، فإلى شقّ البحر والنجاة، هذه الأمكنة كلّها قد كشفت عن دور المكان في بناء القصّة القرآنية.

وما قلناه عن بناء الشخصيّة في القصّة القرآنية والدور الذي نهضت به في بنية القصّة ينطبق على بناء الزمان والمكان، فالأمكنة واقعيّة في القصّة، وفعل الشخصيّة في المكان والزمان يكاد يكون هو نفسه، وهذه الأمكنة تسهم في الكشف عن جانب من جوانب وبيان دور القصّة في التعليم والتهذيب وترسيخ الايمان في النفوس.

المصادر والمراجع

[١] القرآن الكريم.

[٢] إبراهيم،صالح، (٢٠٠٣)، الفضاء ولغة السرد في روايات عبد الرحمن منيف، بيروت، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي.

[٣] ابن كثير، أبو الفداء، (٢٠٠٣م)، قصص الأنبياء، بيروت، دار الفكر.

[٤] ـــــــــــ، (١٤١٤هـ.ق)، تفسير القرآن العظيم، دمشق، دار الفيحاء.

[٥] أبو بكر الجزائري، (١٤١٨ هـ.ق)، أيسر التفاسير، المدينة المنوّرة، مكتبة العلوم والحكم.

[٦] الألوسي، شهاب الدين ابن عبد الله، (١٤١٥ هـ.)، روح المعاني، تحقيق علي عبد الباري، بيروت، دار الكتب العلمية.

[٧] البستاني، بطرس، (لاتا)، أدباء العرب في الأندلس وعصر الإنبعاث، بيروت، دار نظير عبود.

[٨] البستاني، محمود، (١٣٨٢ هـ.ش)، البلاغية الحديثة، قم، دار الفقه، ط ١.

[٩] جمال، أحمد محمد، (١٤٠٥ هـ.ق)، القصص الرمزي في القرآن، بيروت: دارالكتب العربي، ط ٤.

[١٠] حجازي، علي، (٢٠٠٤م)، القصة القصيرة في لبنان، بيروت، دار المؤلف، ط ١.

[١١] دعكور، نديم، (١٩٨٦م)، تقنية الرواية، بيروت، جامعة القديس يوسف، لا ط.

[١٢] الرازي، محمد بن عمر(لاتا)، التفسير الكبير، طهران، الدار العلمية، ط ٢.

[١٣] رضوان فتحي، (لاتا)، الإسلام والمذاهب الحديثة، القاهرة، سلسلة اقرأ، العدد ٤١٥.

[١٤] زراقط، عبد المجيد، (١٩٩٩م)، في بناء الرواية اللبنانية، بيروت، منشورات الجامعة اللبنانية.

[١٥] الزمخشري، جار الله، (١٩٨٧م)، تفسير الكشاف، القاهرة، دار الريان.

[١٦] زيتون، علي، (٢٠٠٥ م)، النص من سلطة المجتمع إلى سلطة المتلقي، بيروت، مطبعة الأمير.

[١٧] زيدان، عبدالكريم، (١٩٩٨م)، المستفاد من قصص القرآن، بيروت، مؤسسة الرسالة.

[١٨] الشعراوي، محمد متولي، (٢٠٠٠م)، قصص الأنبياء، القاهرة، التوفيقة، ط ١.

[١٩] شيخ أمين، بكري، (١٩٩٤م)، التعبير الفني في القرآن، بيروت، دار العلم للملايين.

[٢٠] الصابوني، محمد علي، (١٩٩٤ م)، صفوة التفاسير، حلب، دار القلم.

[٢١] عابدين، عبد المجيد، (١٩٥٦م)، الأمثال في النثر العربي القديم، القاهرة، ط ١، دار نهضة مصر.

[٢٢] عبد الله، عدنان خالد، (١٩٨٦م)، النقد التطبيقي التحليلي، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة.

[٢٣] عطية علي، سعيد، (٢٠٠٦ م)، الإعجاز القصصي في القرآن، القاهرة، دار الافاق العربية.

[٢٤] غيمي هلال، محمد، (١٩٩٦م)، النقد الأدبي الحديث، القاهرة، دار نهضة مصر.

[٢٥] فتوح، أحمد محمد، (١٩٧٧ م)، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، القاهرة، دار المعارف بمصر.

[٢٦] قاسم، سيزا، (١٩٨٥م)، بناء الرواية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

[٢٧] قطب، سيد، (١٩٩٥م)، في ظلال القرآن، القاهرة، دار الشروق.

[٢٨] ـــــــــــ، (١٩٦٦م)، التصوير الفني في القرآن، القاهرة، دار الشروق.

[٢٩] قطب، محمد، (١٩٩٣م)، منهج التربية الإسلامية، القاهرة، دار الشروق.

[٣٠] مبروك، مراد عبد الرحمان، (١٩٩٨م)، بناء الزمن في الرواية المعاصرة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

[٣١] مجموعة من المولفين، (٢٠١٠)، معجم السرديات، إشراف:محمد القاضي، بيروت، دار الفارابي.

[٣٢] مرتاض، عبد الملك، (١٩٩٨م)، في نظرية الرواية، الكويت، عالم المعرفة، العدد(٢٤٠).

[٣٣] مزار، سارف، (٢٠٠١ م)، مستويات السرد الإعجازي في القرآن الكريم، دمشق، اتحاد الكتاب العرب.

[٣٤] نبيل، أيوب، (١٩٩٧م)، الطرائق إلى نص القارىء المختلف، بيروت، دار المكتبة الأهلية، ط ١.

[٣٥] نجم، محمد يوسف، (١٩٧٧م)، فن القصة، بيروت، دارالثقافة.

«داستان حضرت موسی(ع) در قرآن» (پژوهش رِوایی)

مظهر مقدمی فر[١]، علی مهدی زیتون[٢]

تاریخ دریافت: ١٣٩٠/٣/١٧ تاریخ پذیرش: ١٣٩١/٣/٢١

خداوند متعال بسیاری از وقایع، و رویدادهای قرآن را در قالب داستان برای بیان اهداف خود بیان نموده است تا بهتر در دل وجان بندگان نفوذ نماید. زیرا داستان وعناصر آن، وسیله‌ای هستند، که با تصویرگری بی‌نظیر خود، قوی‌ترین تأثیر را بر مخاطب خود می‌گذارند، از این لحاظ شخصیت و شخصیت‌پردازی در داستان حضرت موسی (ع) با اعمال وگفتار خود در سیر حوادث نقش مهمی ایفا کرده است. همچنین صحنه یا فضا که شامل زمان و مکان است، در داستان قرآنی حضرت موسی(ع) به شکل کاملاً هنرمندانه در قالب تکنیک‌های ساختار و عناصر آن (شخصیت، زمان، مکان) همراه با عوامل هنری، در قرآن با رویکرد جدید تصویرگری، نمایان است، که جلوه‌های فنی وهنری نوین قصه را دربرمی‌گیرد. با توجه به طبیعت این تحقیق از روش توصیفی – تحلیلی و استقراء در متن قرآن و کاوش در آیات مرتبط با داستان، استفاده شده است. و همچنین ما از نظریه گریماس (Greimas) در عوامل مذکور مانند: عامل ذات و موضوع و مخاطِب یا (عامل مرسل) و مخاطَب یا (عامل مرسل الیه)، و ماهیت شخصیت‌های داستان از نظر ساختار فیزیکی و روانی و فرهنگی بهره گرفته ایم، علاوه بر شیوه‌های یاد شده، ساختار هندسی فضا و صحنه‌پردازی و ارتباط ترتیب زمانی در متن، از جمله: «بازگشت به گذشته» (استرجاع) و«آینده نمایی» (استباق) و ارتباط و وابستگی اندازه متن و... پرداخته شده است.

کلید واژگان: داستان قرآنی، موسی (ع)، شخصیت، زمان، مکان، پژوهش روایی

---

١. دکترای ادبیات عرب از «جامعة الاسلامیة» در لبنان، Email: mazhar_2001_m@yahoo.com

٢. استاد رشته ادبیات عرب در «جامعة اللبنانیة» در لبنان

The Story of Moses (PBUH) in Qur'an (A Narrative Investigetion)

Mazhar Moghadamifar[1], Ali Mahdi Zeitoun[2]

Received: 2011/6/7 Accepted: 2012/6/10

Abstract

God, the almighty, has expressed many Quranic events, and narrations to define his objectives for people to accept them with all of their heart and soul, to influence them more. Because, story and the concerning elements have unique as well as the most powerful illustrative effects on the audience, in this respect , unique personality and personal characteristics of Moses have been defined (PBUH) to show how he historically behaved to satisfy divinely requirements. Also, a new approach is implemented to artistically express scene and space, including time and place via Quranic narration, technical structures and elements of (personality, time and place) , thus narrations of Quran are always modern, artistic and technical. For the deductive- analytic nature of the research, the researcher tries to link Qur'anic texts with new story style. Greimas theory has been applied to deduct and analyze: nature, Quranic narrations and audience (messenger) and people (who listen to Quranic narrations) as well as physical, psychological and cultural features of the story characters. Moreover, it also focuses geometric structure of space and scene as well as chronological time sequence of the text: Regression, anticipation as well as correlation coefficient of the text size have also been studied.

Keywords: Quranic Narratives, Moses (PBUH), Personality, Time, Space, Narrative Investigation

1. PhD in Arabic Literature, Islamic University of Lebanon, Email: mazhar_2001_m@yahoo.com
2. Professor of Arabic Literature, Islamic University of Lebanon